ترجمة قصص قصيرة مختارة للروائي "أرسكين كولدويل"

د. إنجي إبراهيم الدسوقي إبراهيم

حاصلة على درجة الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية

كلية الآداب - جامعة المنصورة

ملخص:

البحث عبارة عن ترجمة لقصـــص قصـــيرة مختارة من أعمال الروائي أرســكين كولدويل. الذي احتل المركز الرابع في تصــنيف "وليام فولكنر" للكتَّاب الأمريكيين رغم أنه لم ينل حب القراء الأمريكيين الذين كانوا يعيشـون في الجنوب بسبب إظهاره الجوانب السيئة في حياتهم. اهتم "كولدويل" بمناقشة المشكلات التي تواجه البيض والســود في الجنوب الأمريكي، وقد تأثر بأبيه الذي عمل مصــلحاً اجتماعياً ورجل دين. طالب "كولدويل" بالقضــاء على مشـكلة التمييز العنصــري وطالب بتدخلٍ سـياسـي لأنهاء فقر سـكان الجنوب الأمريكي ومعناتهم، ولذلك لم تُوله الدوائر الأدبية اهتماماً.

يحتوي البحث على مقدمة نقدية للقصص القصيرة؛ "بائع الحلوى بيتشام"، و"السبت بعد الظهيرة"، و"رجل وامرأة"، و"مولي ذو الذيل القطني". تصـور قصـة "بائع الحلوى بيتشـــام" مدى معاناة المواطنين الســـود ، ولأي مدى كان البيض يحتقرونهم ويزدرونهم. والشـخصـية الرئيسـة هي شـخصـية بائع الحلوى الذي لديه موعد مع حبيبته، ولكنها تسكن في مكان يبعد عنه بعشرة أميال. وكان يجب عليه أن يمشـــي هذه المســافة الطويلة بســرعة لأنه يجب أن يقطع تلك المســافة قبل غروب الشــمس، وفي طريقه يمر بإحدى المدن التي يقطنها أغلبية من المواطنين البيض، ولكنه يشعر بالجوع الشديد، فقرر أن يدخل أحد المطاعم ليتناول عشاءه. وما لبث أن وضـــع يده على باب المطعم حتى تعقَّبه شـــرطي أبيض وقرر أن يضعه في الحبس. وعندما فر بائع الحلوى رماه الشرطي بالرصاص، وعندما كان على وشك الموت طلب أن يعطيه أيُّ شخصٍ غطاءً ليغطي جسده، ولكن لا يلبي أحد رغبته، وتنتهي القصة نهاية مأساوية.

والفكرة نفسها تم تناولها في قصة "السبت بعد الظهيرة"، وشخصيتها الأساسية هي "ويل ماكسي" الذي يجتمع على قتله مجموعة من المواطنين البيض، بلا شفقة ولا رحمة، بحجة أنه تكلم مع إحدى بنات مواطنٍ أبيضَ، ومن الواضح أنهم اعتادوا على ذلك. ومن الجدير بالذكر أن "ويل ماكسي" لم يُحبِبْه أحدٌ رغم أنه كان مسالما ومزارع قطنٍ من الطراز الأول، يهتم بأرضه كثيراً، ويزيل الحشائش قبل الزراعة.

وقصة "رجل وامرأة" تعكس معاناة الفقراء البيض الذين يعيشون قوت يوم بيوم، وحينما يمرض أحدهم لا يجد المال ولا الطعام؛ "رنج" هو أحد هؤلاء حيث إنه يمرض ولا يجد ما ينفقه على أسرته، ويضطر أن يرسل ابنته الصغيرة عند أخت زوجته، ولكنها سرعان ما تموت، ويمشي هو وزوجته لمسافة طويلة لزيارة قبرها وليس لديهم مال أو طعام، وهم يتكففون الناس ليحصلوا على أقل القليل الذي يجعلهم يكملون الطريق.

وقصة "مولي ذو الذيل القطني" هي مثال على أقلية من المواطنين البيض الذين يرغبون في العيش في سلام ولا يحبون قتل أي شيء ولا حتى أرنباً.

الكلمات المفتاحية :

أرسكين كولدويل – وليام فولكنر – البيض والسود – الجنوب الأمريكي – التمييز العنصري – بائع الحلوى بيتشام – السبت بعد الظهيرة – رجل وامرأة – مولي ذو الذيل القطني.

Abstract:

This paper is a translation of selected short stories by Erskine Caldwell , a novelist and a writer of short stories, who is ranked the fourth novelist in William Faulkner's list of the American writers, despite the fact that he is not liked by the Southerns because of his depiction of their life .In his novels, Caldwell is concerned mainly with the poor, the whites and the blacks. He was influenced by his father who was a social reformer. Caldwell asks for racial equality and political intervention to put an end to the poverty of the Southerns; that is why he was neglected by the critical circles.

This paper contains a critical introduction about the selected short stories, *Candy- Man Beechum, Saturday Afternoon*, *Man and Woman and Molly Cotton tail*. *Candy-Man Beechum* depicts how the black suffered a lot and to what extent they were humiliated and looked down upon. The main character is the candy man who has an appointment with the girl he loves. He has to walk hastily for a very long way (ten miles) and should finish his journey before sunset. In his way, he passes by a town of white majority, wishing to have dinner like any human. He stops in front of a fish restaurant and decides to go in . At the same time, he is arrested by a white policeman who chases him to put in jail and shoots him in leg. He falls down and asks anyone to give him something to cover his skin and bones but he is neglected although he is surrounded by a lot of people. The same idea is there in *Saturday Afternoon,* in which Will Maxie, a smart negro , is killed by a group of the white folk in a very merciless way. Nobody likes Will although he is peaceable and sociable, planting his cotton cleverly by cutting down the grass first. It seems that they falsely accuse him of talking to a daughter of

one the whites. *Man and Woman* , on the other hand, reflects the suffering of the poor whites who live day by day. When Ring becomes ill, he decides to send his only daughter to his wife's sister to take care of. Then, the child dies; Ring and his wife are compelled to go a very long way, on foot, to see the grave of their daughter; they are both tired and sad. *Molly Cotton Tail* articulates an example of the sensitive whites who like to live in peace without chasing or killing anybody or anything, even if it is a rabbit.

key words

Erskine Caldwell - William Faulkner - Whites and Blacks - American South - Segregation - Sweet Beecham - Saturday Afternoon - Man and Woman - Molly the Cottontail.

المقدمة

احتل إرســكين كولدويل المركز الرابع في تصــنيف وليام فولكنر للكتاب الأمريكيين رغم إنـه لم يحظ بحـب القراء الأمريكيين الـذين كـانوا يعيشـــون في الجنوب بســبب إظهاره الجوانب الســيئة في حياتهم من خلال رواياته "أرض الله الصــغيره" و"طريق التبغ". وقد تعرض كولدويل للنقد اللاذع بسـبب الموضـوعات التي تناولها في رواياته، مثل الإجهاض والدعارة وزنى المحارم، بالإضـــافة إلى موضوعات أخرى شائكة، مثل التمييز العنصري ونفاق رجال الدين وانتفاء العدالة الاجتماعية.

ولد "كولدويل" في مقاطعة كويتا في جورجيا بأمريكا الجنوبية في ١٧ ديسمبر ١٩٠٣، وهو ابنٌ وحيد لواعظ كنسي، وقد حصل على تعليم نظأمي إلى عمر ١٥ عاما، ولم يتخرج من الجامعة رغم التحاقه بالعديد من الجامعات. أحب كولدويل قراءة القصص والروايات، واكتشف إنه يستطيع أن يكتب روايات أفضل من التي يقرأها، وكتب لجرائد عديدة أثناء المرحلة الثانوية، وكتب بعد ذلك العديد من الروايات.

اهتم كولدويل في رواياته بموضوعات شائكة مثل: الفقر، والبيض والسود ومشــكلاتهم، والبطالة، والجوع، والتمرد، والوحدة. وقد تأثر بوالده الذي كان يعمل مصلحاً اجتماعياً، وكتب "كولدويل" أن أباه كان مدرسا وواعظا في الكنيسة وكاتبا في الجريدة؛ فحينما كان مراهقاً اعتاد الذهاب مع أبيه إلى الأســـر الفقيرة في جورجيا لمساعدتهم. تأثر بحياة أبيه مصلحا اجتماعيا، ولم يتأثر به كرجل دين، حيث إنه لم يدين بأي دين في أواخر أيامه. انتقد "كولدويل" رجال الدين الذين يتصفون بالنفاق ويغتصبون النساء ولا يتورعون. أطلق النقاد عليه لقب "مصلح اجتماعي" لأنه تعامل مع مثل هذه الموضوعات المشار إليها سابقاً.

لم يقبل "إرســـكين كولدويل" القيود المفروضـــة على الكتابة وعلى حرية التعبير. ووضـــع هدفا نُصـــبَ عينيه وهو أن ينقل صـــورة واضـــحة للقارئ عن الأحداث التاريخية الحقيقية، وليس مجرد سـرد قصـص لا علاقة لها بالواقع، كما ركز على محاربة الفســـاد والاســـتغلال وهو ما عرَّضـــه لهجوم كثير من النقاد وتجاهل الدوائر الأدبية.

بائع الحلوى بيتشام :

تؤرخ هذه القصـــة لحقبة زمنية عاشـــها الجنوب الأمريكي، وقد تأثر بهم كولدويل وصوَّر مآسيهم في رواياته وقصصه القصيرة . وتدور أحداث هذه القصة القصيرة حول شخصية واحدة رئيسة وهي شخصية بائع الحلوى الذي ظهر خلال القصـة كلها وهو يمشـي أميالا عديدة ليقابل فتاته التي يحبها ولكنه لن يقابلها في النهاية. وهو رجل أســـود مســـكين يعكس حال أمثاله ممن عاشـــوا في الجنوب الأمريكي في ذلك الوقت . إنها حقاً مأســـاة شـــديدة حيث إنهم لم يكن لديهم أية حقوق؛ فقد كانوا يرفعون القبعة احتراماً للبيض ويتنحَّون جانباً عند رؤية أحد ذوي البشـرة البيضـاء. وقد انتهت القصـة وهو يحاول أن يتناول وجبة عشـاء في أحد مطاعم السمك ولكنه لم يمنح هذه الفرصة.

وقد ركز المؤلف على حقيقة أن حاله حال الآخرين ؛ إنه بشر يحب ويريد أن يقابل محبوبته ويجوع ويريد أن يأكل مثل الآخرين " كانت يداه على باب المطعم ..... امتلأ المكان بالعديد من الناس، وكلهم يتناولون وجباتهم ؛ اكتظت الحجرة بالجوعى مثله" . وقد أكد المؤلف شـــدة جوعه قائلاً: " كانت يده مازالت على باب مطعم الأسـماك وشـمت أنفه الرائحة بعمق شـديد، لو كان يسـتطيع أن يشتري لنفسه هذا البرميل الكبير الممتلئ بالأسماك لفعل ولأكلها كلها بمفرده"

أراد الشـــرطي الأبيض أن يلقي القبض عليه أثناء مروره في المدينة التي يقطنها أغلبية من البيض فقط لأنه يمشـــي مســرعاً وليس لديه أي جرم ســوى إنه أسرع في حضرة أحدهم. وعندما رفض بائع الحلوى أن يسلم يده للشرطي ليضـع فيها الأساور الحديدية ليعتقله، أسرع الشرطي ورماه بالرصـاص وأصـاب قدمه . وانتهت القصـــة وبائع الحلوى يتألم ويطلب من الشـرطي أو أي أحد من المارة أن يعطوه غطاء ليغطي عظمه وجلده وقد أنكروا أبســط حقوقه في أن يغطي عظامه الفانية .

السبت بعد الظهيرة :

تصوِّر هذه القصة أيضاً مأساة أحد المواطنين السود في الجنوب الأمريكي والشـخصـيات الأسـاسـية هما "توم" و"جيم" الشـريكان في محل بيع اللحم (مما له دلالته، فهما يتصـفان بالقتل والبشـاعة ويتصـرفان مع المواطنين السـود تماما كما يفعلان مع بهائمهم التي يذبحونها ويبيعونها)، وهما من المواطنين البيض الذين سـيذهبون مع أقرإنهم البيض ويتشـفون ويسـتمتعون بقتل الزنجي الأسـود "ويل". وتلقي القصـــة الضـــوءَ على العنف والقتل الممنهج الذي كان يمارَس ضـــدهم بلا قانون ولا رقيب. تحمل القصـــة عنوان "الســـبت بعد الظهيرة" وهو التوقيت الذي وقعت فيه الجريمة ضـد "ويل ماكسـي" رغم إنه كان متميزا بالاسـتقامة والاجتهاد في زراعة القطن، فكان محصـوله أفضـل المحاصـيل نظراً لاعتنائه به، وبيع خبز الزنجبيل، وحصـــل على المال الوفير من ذلك، وكانت حياته مســـتقرة، وقد زوج بناته الثلاث، وعاش مع زوجته ولم يؤذ أي أحد، ومع كل هذا لم يحببه أحد بسبب بشرته السوداء، وهذا كان كل عيبه.

يبدو أنهم اختلقوا له المشـــكلات وادعوا عليه إنه كلم إحدى بنات مواطنٍ أبيض، وهذا كان كفيلاً بأن يتجمعوا عليه ويجروه من بيته مقيَّداً بالســـلاســـل في

رقبته ورجليه، لقد قرروا أن يقتلوه بأبشع الطرق المعهودة عندهم، وخصصوا أرضاً مقطوعة الشجر وفي وسطها شجرة صمغ ليربطوه فيها، وفي أثناء هذا الحدث كان هناك من يتاجر ويربح الكثير من المال ببيع زجاجات الكوكاكولا وكأنه احتفال . لقد عشقوا القتل والتشفي فى المواطنين السود؛ يربطونه بالسلاسل ثم يحرقونه بالبنزين ثم ينهالون عليه ضرباً بالرصاص، ومن ثم يعلقونه على أفرع الشجر بدون رقيب ولا رحمة ولا شفقة.

رجل وامرأة :

تمثل هذه القصة معاناة المواطنين البيض في ظل سيطرة النظام الرأسمإلى وعدم شعورهم بالأمان وبخاصة الذين كانوا يعملون بزراعة القطن ، إنها قصة بسيطة ولكنها ذات مغزى عميق وتحمل عنوان "رجل وامرأة"، وهي تشير إلى تعميم ما يحدث معهم على أغلب الذين يعيشون في الجنوب الأمريكي في ذلك الوقت . الشخصيات الأساسية تتمثل في "رنج" الذي مرض لخمسة أسابيع، فلم يجد ما ينفقه على أسرته، وأرسل ابنته الوحيدة إلى أخت زوجته ولكنها للأسف ماتت عندها. والقصة تصف المسافة الطويلة التي قطعوها سيراً على الأقدام لكي يروا قبر ابنتهم وهم في شدة الحزن والفقر والجوع. و"رنج" ما زال مريضاً، وأثناء سيرهم يتكففون الناس ويطرقون باب أي أحد ليأخذوا قليلا من الطعام، ويعاملون معاملة سيئة من الآخرين، ولكن ليس لديهم مفر؛ فهم لا يملكون المال .

مولي ذو الذيل القطني :

تلقي القصة الضوء على الأضداد الموجودة في الجنوب الأمريكي، فكما فيه القتل والفقر والرأسمإلية يوجد أيضاً أقلية مرهفة الحس، ومن أبرزهم الكاتب نفسه . القصة تدور حول سيدة تؤمن أن ابن أخيها لن يصبح من أسياد الجنوب الأمريكي الحقيقيين إذا لم يعتدْ الصيد وقتل الأشياء، وقد سافرت هذه السيدة

لمســافة طويلة لتزور ابن أخيها وأخيها وزوجته في بيتهم . الأمر العجيب هو أن أخاها لا يحمل مثل هذه الأفكار في رأسه ولكن يحمل عكسها تماما؛ فهو لا يحب قتل الأشـياء وابنه مثله . حينما يسـمع الولد عمته تتحدث عنه بصـورة غير لائقة عنه يقرر فوراً أن يذهب لصيد أحد الأرانب ولكنه يخطيء الصيد ولم يقتل الأرنب بل ويأخذه معه ليعتني به في بيته ويفرح أبوه بالأرنب كثيراً وتعود عمته لتســخر منـه مجدداً، ولكن هذه المرة لا يهتم بما تقولـه، ويحـب الأرنـب ذو الفرو الأبيض المميز ويداعبه .

بائع الحلوى بيتشام :

على بعد عشرة أميال من مستنقعات أوجاتشي أعلى التل عند ماكينة نشر الخشب، كان هناك ما يستحق المشاهدة، على بعد خطوة واحدة من بائع الحلوى الذي يخطو فوق أخاديد جورجيا الوسطى.

سأله المارَّة في الطريق: "إلى أين أنت ذاهب يا بائع الحلوى؟"

أجاب بائع الحلوى: "أفســـح الطريق يا ولد فقدماي يرفرفان من الفرح لأني ذاهب لمقابلة محبوبتي؛ إنها تنتظرني مشتاقة لرؤيتي الآن".

وفي هذه الأثناء أشـعل الأرانب النار في الكتل الخشـبية كي لا يسـتطيع أحد الاقتراب منهم.

قال بو الصـــغير: "احذر يا بائع الحلوى أن تتعثر قدماك عند أي مواطن أبيض"، لأن المواطن الأبيض تكون له الأولوية" .

ألقى رجل الحلوى بقدمه فوق الســـور الحديدي وكأن قدمه تحولت إلى مقبض مجرفة؛ فقد أمضـــى دقيقه يســـتمع إلى الولد الأســـود "بو"، وهو منفرج الســـاقين ، فمازال أمامه عشـرة أميال يجب أن يقطعها قبل أن يحل الظلام وكان الظلام بدأ يحوم حول هذه المستنقعات.

قال بائع الحلوى: "ليس مســـموحا لي أن أختلط بأي من مواطن من المواطنين البيض، كل ما آمله هو أن يتركني المواطن الأبيض على قيد الحياة ومقابل هذا سأقوم بخدمتهم وعمل كل ما يحتاجونه من تنظيف الماشية وثني القطع الخشبية الكبيرة لشـــجر الســـرو، ولكن بمجرد أن ينتهي النهار يجب ألا يراني أياً من المواطنين البيض."

اســـتعادت البومُ مكإنها فوق الأشـــجار وســـعدت الطيور المغردة برؤية الشـمس سـاعة الغروب. وامتد الأمر إلى الولد الأسـود فقد مد برأسـه من داخل مزرعة الماشـــية ورأى الشـــمس ســـاعة الغروب وظل يفكر ، لو لم يكن مطالبا بإطعام كل هذه البهائم ولو كان في جيبه قطعتان من النقود للحق ببائع الحلوى، إنه يهوى ذلك ويتمناه. إنها ليلة الأحد وربما يكون هناك بطرميل مملوء بالأسـماك المقلية إنه يتمنى أن يأكل من هذه الأسماك الذكية الرائحة.

قال "بو" الصغير: "قبل أن يمضي الوقت"، سوف أبحث لي عن فتاة".

أجابه بائع الحلوى: "يجب أن تتأكد أولاً إنها ليسـت فتاة بائع الحلوى حينئذ سـوف أساعدك أن تجدها"

اندفع مسرعاً فوق السور الحديدي وضرب بقدميه الأرض المرتفعة، مازال أمامه عشـرة أميال ليصـل إلى قمة التل وحينها يكون قد أتم رحلته، يسـتطيع أن يتحمل اصـطدام قدميه بالأشـجار الصـغيرة، ولكنه لا يسـتطيع أن يقاوم الضـربات الخلفية التي يمكن أن يتلقاها في مدينة لا يوجد بها مثل هذه المستنقعات. استمر في طريقه أعلى الطريق الخشـبي، وعبر الأرض المنخفضـة يطوي ثلاثة صـفوف من الذرة في خطوة واحدة.

رأى بائع الحلوى بعض أولاد سـود في الطريق الكبير يسـتمتعون بوقتهم، ولكنه أسرع وتخطاهم بسرعة قبل أن يلتفتوا إليه.

قال لهم: " أفسحوا الطريق لهذه الأقدام المرفرفة أيها الأولاد ، ها أنا قادم".

سألوه: " إلى أين أنت ذاهب يا بائع الحلوى؟".

كان يجب عليهم أن يهرولوا إلى جواره لكي يتمكنوا من الحديث معه ، أسرعوا ليلحقوا بهذه الأقدام السريعة والتقطوا أنفاسهم بصعوبة شديدة.

قال بائع الحلوى: "سـألني بعضـكم أين أنا ذاهب ، أنا في الطريق إلى فتاتي ذات البشرة الصفراء التي تنتظرني لأوليها بعض الاهتمام" .

أجابه الأولاد: "من الأفضـل أن تنبهها قبل أن تفتح بابها ، هؤلاء البنات لا يحبون من يفاجئهم" .

بـائع الحلوى: "لقد تفوهت بـالحقيقة يـا ولـد ، غير أنـك لا تعرف أن فتـاة بـائع الحلوى تنتظره دائماً على الباب ، لابد أن تهرول الأقدام فالليلة هي ليلة الأحد" .

اختفى الأولاد من خلفه، وتوقفوا عن الصـــفير؛ فلا يوجد ســـهر في هذه الليلة لأنها ليلة الأحد.

الطريق طويل أمام بائع الحلوى ومليء بالمنحنيات والتعرجات، لقد جاب الحقول بسـرعة كبيرة ليحصـل على طبق السـمك المقلي. بدأت إضـاءات المدينة في الظهور والانعكاس على وجهه وكأنها تجمعات حشـــرة الحباحب لكن مازال أمامه ثمانية أميال ليطويها ويصـل إلى المدينة، وميلان آخران ليصـل لفتاته ذات البشرة الصفراء.

الطريق كبير وممتد، وبـائع الحلوى مهرول في المـدينـة. المواطنون الكبار في السـن يركبون المركبات، ومتوسـطو العمر يمشـون وكلهم أفسَـحوا الطريق لهذه الأرجل المســـرعة، كل ما هو موجود تنحى جانباً ليدَعوه يمر؛ العربات التي تجرها البغال والألعاب الموجودة في منتصف الطريق.

سأله الناس: " لم كل هذه السرعة يا بائع الحلوى؟ " .

أجابهم: " انتبه فالأتربة حولي لا تسـبب لك الاختناق أيها الأسـود فأنا ماشٍ في طريقي".

سأله الناس: " إلى أين أنت ذاهب يا بائع الحلوى؟ "

أجابهم: " عندي موعد مع فتاة تنتظرني عند الباب ولا تطيق الانتظار طويلاً"

أجابه الناس: "من الأفضـــل أن تبطئ وتريح كعبيك يا بائع الحلوى لأنك الآن في مدينة المواطنين البيض، وهم لا يطيقون أن تتعثر أقدامهم بأقدام شخص أسود".

بائع الحلوى: "لأن الشمس تغرب الآن لابد لي أن أسرع؛ فأنا لا أستطيع التوقف لأحدد لون الناس هنا".

لم يحب الناس طريقة بائع الحلوى في الكلام فتفرقوا متعجبين وهرولت بغالهم معهم.

توســـل إليه ولد صـــغير: "ما رأيك أن تأخذني معك يا بائع الحلوى؟، أريد أن أشتري لي دجاجة من محمصة الدجاج" .

أجابه بائع الحلوى: "ابقَ بعيداً أيها العبد الأسود فعندما أسير في أي مكان أكون أنا الديك الوحيد وأرمي الأشواك على كل الريش الغريب".

ها قد وصل بائع الحلوى لنهاية الشارع لأنه يمشي في منتصف الطريق مسرعاً، لا يمكن أن تلحقه أي خطوات جانبية ؛ ففتاته ذات البشرة الصفراء تنتظره وليس لديه وقت يضـــيعه. قطع ثمانية أميال وتبقَّى له فقط ميلان. وشـــاهد رجل الإطفاء لم يكف عن الصفير وكأنه في طريقه إلى الأرض الموعودة.

انجذب بشدة لرائحة السمك فانطلق مباشرة إلى الباب ؛ ربما كان من ســـمك البوري، ولكن رائحته كانت ذكية جداً، وليس هناك وقت ليطلب طبق زعانف مميز.

كانت يداه على باب المطعم وظل يفكر؛ أمامه ميلان فقط بعد تناول هذا العشـــاء ليقابل فتاته، امتلأ المكان بالعديد من الناس وكلهم يتناولون وجباتهم؛ اكتظت الحجرة بالجوعَى مثله، وامتلأ الموقد بالســـمك المقلي، وقد باعوا فقط نصف الكمية المجهزة، ومازال هناك طعام يكفي لمئة آخرين من الجوعى.

كانت يده مازالت على باب مطعم الأســماك، وشــمت أنفه الرائحة بعمق شديد ، لو كان يستطيع أن يشتري لنفسه هذا البرميل الكبير الممتلئ بالأسماك لفعل ولأكلَها كلها بمفرده.

سأله رجل الشرطة الأبيض: " لماذا أنت مسرع يا بائع الحلوى؟".

أجابه بائع الحلوى: "ليس لدي وقت لأضيعه سيدي الأبيض دعني أدخل فقط".

عندما فتح رجل الشـــرطة القيود الحديدية ليضـــع زراعه فيها، ابتعد بائع الحلوى وخطا بعيداً.

رجل الشرطة: "أعتقد إنه من الأفضل أن أضعك في السجن لأن هذا سوف ينهي العديد من المشــاكل. لقد تعبت من ملاحقة وقتال الســود أمثالك في جميع أرجاء المدينة كل يوم سبت" .

بائع الحلوى: "لم أؤذِ أي أحد طيلة حياتي أيها الســـيد الأبيض، ولم أختلق أي مشاكل. لابد أنك مخطئ سيدي الأبيض، من المؤكد أنك أتيت للشخص الخطأ؛ لقد قطعت طريقاً طويلاً لأقابل فتاتي التي تنتظرني" .

رجل الشرطة: " أعتقد إنه يجب وضعك في الحجز من أجل الأمن والأمان ، إلى صباح الاثنين . افتح يديك لأضعها في القيود الحديدية يا أسود".

جرى بائع الحلوى بعيداً فقد كان ما زال يفكر في الفتاة التي تنتظره ولم يرغب في ان يضيع موعدها ويبقى في سجن اسواره حديدية ؛ فجرى وابتعد.

رجل الشرطة: "سوف أطلق عليك النار أيها الأسود، خطوة واحدة واصوب النار عليك"

بائع الحلوى: "دعني أعيش سيدي الأبيض ولن أحصل على عشاءي في هذا المطعم وسأخرج من هذه المدينة على وجه السرعة فأنا اريد أن أقابل فتاتي قبل بزوغ شمس صباح الاثنين"

انطلق بائع الحلوى بعيداً وحينئذ رمى الشرطي القيود الحديدية وهز مسدسه وجر زناده مصوباً نحو بائع الحلوى وسقط فوراً بائع الحلوى.

بائع الحلوى: "لا يوجد أي سبب لهذا سيدي الأبيض؛ إنني لست إلا مواطنا أسود، كبيرا في السن ذا أقدام متعبة ومريضة . لا أريد شيئا إلا أن أغادر ولا أريد أن أبقى هنا" .

جرى الناس نحوه، ولكن ما لبثوا أن التفتوا ومشوا من الطريق الآخر، وبعضهم وقف ونظر إليه بينما هو يتحسس قدميه ليتأكد من مقدرتهم على حمله؛ فمازال أمامه ميلان ليصل إلى قمة التل.

تجمهر الناس حوله، ونحَّى رجل الشرطة المسدس جانباً، حاول بائع الحلوى أن ينهض لكي يكمل طريقه؛ فهناك فتاة تنتظره بشوق ولهفه.

بائع الحلوى: "سيدي الأبيض؛ أنا في شدة الأسف، كان عليك أن تطلق النار عليّ؛ ومع ذلك فأنا لم أضايق المواطنين البيض أبداً، ولذلك يجب ألا يضايقوني. لكن ما الفائدة من العيش إذا كان هذا ما يجب أن يحدث. أعتقد إنه يجب أن أطفئ النور وأختفي تماماً، أعطوني فقط غطاء لأغطي عظمي وجلدي" .

رجل الشرطة: "اخرس أيها العبد الأسود، إذا استمر هذا الفم الكبير في الكلام فسأطلق عليك النار مرة أخرى" "

تفرق الناس إلى مكان آخر، ولم يقتربوا نحوه ثانية.

السبت بعد الظهيرة :

دفع "توم ديني" قطعة اللحم الكبيرة جانباً وتمدد على طاولة تقطيع اللحم؛ فهو يرغب أن يرقد على ظهره ويرتاح قليلاً. طاولة تقطيع الطعام هي المكان الوحيد المريح في محل بيع اللحم حيث يمكن للإنسان أن يتمدد عليه، و"توم" بالتحديد يحب أن يسند قدمه على حافة الطاولة ويؤرجح الأخرى، ويمكن له أن يحصل على مزيد من الراحة إذا وضع قطعة كبيرة من شرائح أفخاذ البقر مثلاً تحت رأسه، لأن اللحم يكون باردا بعد خروجه من الفريزر. كان توم يعشق ذلك؛ فهو يحب دائماً أن يستريح لبعض الوقت، وهكذا يشعر بالراحة. حينما يتمدد على الطاولة كان يخلع حذاءه ليكون قادراً على تحريك أصابع قدمه.

محل "توم" لبيع اللحم رائحته ليست طيبة، دائما يسأله الزبائن الذين يدخلون عنده لأول مرة عن أسباب رائحة الموتى المنبعثة من بين الحوائط وكانت هذه الرائحة تزداد سوءاً عاما تلو الآخر.

مضغ توم قليلاً من التبغ ثم تمدد على طاولة تقطيع اللحم.

أسراب من الذباب الكسول الكبير الحجم وله أزيزٌ عال ولدغات موجعة، يكون موجودا بصفة مستمرة ويحوم حول المكان. الباب الأمامي الزجاجي يمنع بعض الذباب الذي يحاول الدخول، ولكن إذا تغذى على الدم الطازج الذي يسقط على طاولة تقطيع اللحم فإنه يحاول الدخول والاحتشاد من الباب الخلفي حيث لا يوجد باب زجاجي يمنعه.

الجميع يتناول اللحم الذي يبيعه توم ويحبونه كثيراً حيث لا يوجد أي محل لبيع اللحم غير هذا. فقط اذهب له وقل "أهلاً توم، كيف حالك اليوم؟"، وسوف يجيبك:" كل شيء في غاية السهولة تماماً مثل الصفير ولكن زوجتي العجوز تمرض دائما بالبرد والحمَّى". وبعد أن ينهي حديثه عن أعراض البرد والحمى تقول

له: " أعطني رطلا من شرائح الخنزير يا توم"، وسيقول لك: "أقسم بالله سأحضرها لك فوراً". وبينما أنت واقف تنتظر الشـــرائح ســـيقوم بإدارة قطعة اللحم مرتين أو ثلاثة بشـكل متمرس وسـيعطيك رطل الشـرائح التي تريدها. وإذا كنت تريد شـراء لحم البقر، لن يختلف الأمر مع توم لأنه سـوف يضـرب قطعة اللحم الكبيرة عدة مرات مؤدياً بعض الاستعراضات وبعدها يعطيك اللحم البقري الذي تريد. إنه يلقي بالسـرور على كل شـخص، عليك أن تطلب فقط منه أي نوع لحم تريده وسـتجده على طاولة تقطيع اللحم تنتظرك ليتم تقطيعها ووزنها.

نظف "توم" وجهه من الذباب، وأخذ غفوة قليلة؛ فقد كان في منتصـــف النهار ولم يصـل الناس الذين يعيشـون في القرى المجاورة إلى مدينتهم بعد، وفي فصـل الصـيف اعتاد الناس أن يذهبوا لعملهم في الثانية عشـرة ظهراً عند وضـوح الشمس في السماء، بعد توقيت السكة الحديدية بنصف ساعة . ورغم أن اليوم هو يوم السبت فمن الصعوبة أن ترى أحدا يمشي في المدينة وقت النهار، وكل الناس المقيمين في المدينة قد اشـتروا ما يرغبون من لحم ليوم السـبت من محل "توم". وكان الوقت مبكراً جداً على شـراء لحمٍ ليوم الأحد. أفضـل وقت لشـراء لحم من محل بيع اللحم هو العاشرة مساء يوم السبت، ويقوم بحفظها عنده ليوم الأحد لأنك عندئذ يمكن أن تشـتريها وأنت متأكد إنها لن تفسـد قبل اليوم الثاني إذا لم يكن الجو حارا جداً. دار الذباب وطنَّ حول فم وأنف توم وأزاحه بعيداً بيده وهو نائم على طاولة تقطيع اللحم وواضـعا قطعة كبيرة من اللحم البارد تحت رأسـه، وكان عصير التبغ الذي مضغه يقطر من فمه وهو يبصقه من حين للآخر . كان هناك صـندوق ممتلئ بنشـارة الخشـب معدًّا ليبصـق فيه ولكنه كان بعيداً عنه ، هذا الصـــندوق كان موجودا في ركن المحل خلف الحافظة التي تحتوي على الكبد والمخ المعروضين للزبائن، ولكن مإذا يفعل؟؛ فلا مفر من أن يتناثر عصير التبغ الذي يقع من فمه في منتصـف الطريق بين طاولة تقطيع الطعام وصـندوق نشـارة

الخشب ويتساقط قليلاً من هذا البصق أيضاً على قطعة اللحم الكبيرة، ولكن هذا لا يهم لأن معظم الناس ينظفون اللحم قبل أن يطهوه ويأكلوه، وكل هذا سوف يتم إزالته.

ظل الذباب الملعون يطن ويلدغ بنفس الخسة المعهودة عنه ، ولا يوجد أخس من الذباب المنتشر في محل بيع اللحم وقت الصيف فهو كسول ومتغذٍّ جيد. أخذ توم يزيله من على فمه وأنفه أثناء نومه بأقصى ما يستطيع ودون أن يتحرك الذباب كثيراً ، وبعد ذلك تركه يفعل ما يحلو له.

كان توم يستمتع بغفوة قليلة، بينما دخل "جيم باكسر" من الباب الخلفي للمحل الذي يجاور محل الحلاق. "جيم" هو شريك "توم" في المحل وكان يأتيه في الأيام المزدحمة بالزبائن لكي يساعده، إنه رجل كبير في الحجم، تقريباً ضعف حجم "توم"، وكان دائماً يرتدي قبعة سوداء كبيرة ذات حواف عريضة وقميصا أزرق يثني أكمامه إلى الكوع ، كان له بطن كبير مستدير كالبيضة ومؤخرة تسحب بطنه دائما لأسفل عندما يمشي ، كان يحاول سحبها لأعلى دون فائدة لأنها تسقط مرة أخرى، وإذا نظرت له تشعر إنه سيسقط على الأرض في أية لحظة.

كان "توم" نائماً عندما دخل عليه "جيم" من الباب الخلفي مسرعاً وأمسك به من كتفه ووجد العديد من الذباب الكبير على فم توم وأزاحه جيم بعيداً.

" توم ، توم !" صرخ عليه "جيم" وقد انقطع نفسه ، " إنهض يا توم ! إنهض بسرعة".

قفز توم بسرعة ولبس حذاءه ؛ فقد اعتاد أن يدخل الناس عليه ويوقظوه لكي يشتروا ربع كيلو من شرائح لحم البقر أو الخنزير، وقد اعتقد خطأً أن "جيم" زبون ، دعَك فمه بيديه لكي يبعد لدغات الذباب.

توم: "مإذا حدث!". بصق توم وطالع "جيم" وهو واقف بجانبه "مإذا تريد؟".

جيم: "تعالَ يا توم وأحضـــر بندقيتك، إننا نطارد مواطنا أســـود هناك بعيداً، عن نهاية الجدول" .

توم: "يا إلهي!" ، صرخ "توم" وقد استيقظ جيداً وأمسك بيد جيم متوسلاً، "هل أنت متأكد ياتوم أننا سنطارد هذا الأسود؟".

جيم: "أنا متأكد جداً يا توم ، هل تعرف هذا الأسـود الذي يبيع خبز الزنجبيل عند السكة الحديدية ؟ ، إنه هو، سوف نقتل هذا الزنجي ذا الوجه الأصـفر؛ يبدو إنه قال شيئاً لابنة "فريد جاكسون" الكبرى في نهاية هذا الطريق من ساعة تقريباً، وقد أخبرنا "فريد" بهذا كله وجمعنا عند محل الحلاق، تعإلى يا توم لابد أن نســـرع، أتوقع أن نمسكه بسرعة كبيرة الآن"

ربط "توم" حذاءه وجرى بســـرعة في الشـــارع خلف "جيم"، وقد أخذ "توم" بندقيته تحت ذراعه، أما "جيم" فقد سـحب السـاطور من فوق طاولة تقطيع اللحم، سوف يحضرون هذا الزنجي الأسود، لعنة الله على جلده الأصفر.

قفز "توم" بسرعة في سيارة مع أشخاص آخرين وقفز "جيم" هو الآخر فوق ظهر سـيارة وهي تتحرك ، كان هناك ثلاثون أو أربعون سـيارة متوجهة إلى نهاية الجدول وعلى أهبة الاستعداد للتحرك.

لقد أعدوا المكان الذي اختاروه عند الجدول ؛ فهناك أرض فضـاء مقطوعة الشـجر في وسـط الغابات على الطريق مهيأة للقيام بهذا العمل على أكمل وجه ، أيضـاً هناك العديد من الأشـجار المقطوعة بالإضـافة إلى وجود شـجرة صـمغ في منتصـــف هذه الأرض ذات حجم مناســـب ليربطوا فيها هذا الأســـود. توقفت كل الســـيارات وقفز من داخلها الرجال مســـرعين وهناك آخرون يجرون وراء "ويل ماكس". كان "ويل" بائع خبز زنجبيل ذا بشـــرة ســـوداء ، يمكن أن تجده في بيته

وهو يرص القطن؛ إنه يزرع القطن بطريقة جيدة، ويقوم بقطع كل الحشائش أولاً ، وبعد ذلك يرص القطن في صفوف منتظمة على الأرض، كل المزارعين الآخرين يزرعون القطن ولا يتعبون أنفسهم بإزالة الحشائش. لكن "ويل" كان زنجياً أسود ذكيا للغاية، ومع ذلك لم يحببه أحد. لقد حصل على المال الوفير من زراعة القطن والذرة بسبب اعتنائه بزراعته وإزالة الحشائش أولاً ، لقد جنى أموالاً طائلة من الزراعة أكثر مما يحصل عليه "توم" و"جيم" من محل بيع اللحم.

"دوك كرومر" هو الآخر أرسل الولد الذي يعمل لديه في المتجر ليبيع زجاجات كوكاكولا لهذا الجمع من الناس ، أعطى له نصف دسته من حاويات الكوكاكولا وقطع ثلج في حوض استحمام صغير. كان هذا الحوض يحتوي على مياه بها بعض الطين من مياه الجدول وقطع ثلج كبيرة وأيضاً ثلاث حاويات من علب الكوكاكولا. عندما يتجمع الناس، يضع الولد الثلاث حاويات الأخرى في الحوض ويبرد المخدر داخل الحاويات، كل الناس يفضلون شربه باردا.

ذهب "توم" للغابة ليحصل على شراب ذرة مع "جيم" و"هوبرت ويلز"، دائماً يحمل هوبرت إبريقاً من شراب الذرة أينما يذهب حيث إنه يقوم بصناعة شراب الويسكي بنفسه ويبيعه للناس حول المحكمة ومحل الحلاق ويحصل منه على المال الوفير؛ يصنع هوبرت أحسن شراب ذرة في القرية.

كان "ويل ماكسي" قادماً في قمة الطريق مسرعاً ويجري وراءه العديد من الرجال يضربونه بالعصي . لقد تقدم "ويل" في السن، وكان لديه زوجة وثلاث بنات كبار وكلهن تزوجن واستقر حالهن. إنه كان ذكياً ويهتم بأعماله كثيراً، وإذا قابل أحدا من ذوي البشرة البيضاء يتنحى من الطريق وإلا سيحدث له ما لا تحمد عقباه. مع كل ذلك لم يحببه أحد ، لقد استطاع أن يحصل على المال الوفير من زراعة القطن بسبب اهتمامه بالزراعة وإزالة الحشائش قبل وضعه في الأرض.

أتي "ويل" وهو يجري في الطريق، وقد وجهه الناس إلى الأرض الخالية من الأشجار وقد جهزوا كل شيء لينقضوا عليه؛ وضعوا كومة كبيرة من أخشاب الأشجار وسلسلة حديدية حول رقبته وحول قدميه وجهزوا أيضاً ثلاث علب من البنزين.

أما الولد الذي يعمل لدى متجر "دوك كرومر" فقد تاجر تجارة كبيرة من بيع زجاجات الكوكاكولا، ولم يتبق إلا خمس أو ست زجاجات؛ إحدى الحاويات الثلاثة ما زالت في الحوض ، كان على أتم الاستعداد أن يضع باقي الحاويات في الحوض لكي تبرد فكل الناس يفضلون شرب هذه الزجاجات الباردة في النهار الحار من آن لآخر، وإذا نفد ما لديه سيرجع للمدينة ويحضر العديد من الحاويات، ومع ذلك فإنه يعتقد إنه ليس هناك جمهور كبير اليوم فهم حوالي مئة وخمسون أو مئة وخمسة وسبعون والجو الحار يجعل الناس تحب شرب الكوكاكولا بكثرة ، يا له من حدث جَلل كان سيفوت "توم" إذا لم يأته "جيم" ويخبره حينما كان يأخذ غفوة على طاولة تقطيع اللحم.

أما "ويل ماكسي" فلم يعتد شرب الكوكاكولا ، لم يهتم أن ينفق أمواله على مثل هذه الأشياء وهذا هو ما يعيبه، لقد كان زنجيا مستقيما للغاية؛ لم يشرب ويسكي مصنوعا من الذرة مثلهم ولم يصنعه ولم يحمل سكيناً أو موساً وكان يرفع القبعة إذا قابل أحد ذوي البشرة البيضاء، وعاش مع زوجته ولكنهم حاصروه الآن وأمسكوا به ولم يعد قادراً على أن يزيل الحشائش من أرض القطن قبل زراعته. لقد ربطوه الآن في شجرة الصمغ في منتصف هذه الأرض الفضاء عند جدول الماء، ووضعوا سلاسل حديدية حول ركبتيه أيضاً ، نعم يا سيدي أمسكوا بويل ماكسي الآن ، الزنجي ذي الوجه الأصفر، ولن يستطيع أن يزيل الحشائش من أرض القطن قبل وضعه فيها.

أما "توم" فقد كان يشعر بالسعادة لأن "هوبرت" أعطاه مشروبا آخر، كان هوبرت ماهرا في صناعة الويسكي من الذرة بنفسه، وقد أحبه توم لهذا السبب. هوبرت، هو الآخر، كان يأخذ لزوجته قطعة لحم كبيرة من محل "توم" في مساء السبت لكي تطهوها له يوم الأحد، إنه لحم جيد أيضاً؛ كان "توم" يقطع اللحم و"هوبرت" يأخذه ويعطيه لزوجته هديةً.

سوف يحترق "ويل ماكسي" ويتصاعد منه الدخان، وعندما يبدأ في الانتهاء سوف ينهالون عليه ضرباً بالرصاص. ابتعد "توم" قليلاً وأطلق على ويل الرصاص؛ وضع الرصاص في بندقيته بسرعة وأطلق عليه النار، صوَّب عليه أيضاً أربعون رجل أو أكثر. لقد تمزق جسده وأصبح ممتلئا بالرصاص، انفصل جسده عن رقبته التي يوضع حولها السلاسل.

أما الولد الذي يعمل لدى "كرومر" فقد باع كلَّ ما لديه من مشروب الكوكاكولا، سيشعر "كرومر" بالسعادة الغامرة حينما يعود له الولد بكل هذه الأموال، ست حاويات ممتلئة بالكوكاكولا تم بيعها عن آخرها، كل زجاجة بقرش، وإذا كان لديه أكثر لباع أكثر وبكل سهولة فكل الناس يحبون هذا المشروب، لا يوجد أفضل منه في النهار الحار خاصة إذا كان بارداً.

بعد مرور وقت قليل ، كان كل شخص مستعدا ليجر جسد "ويل" إلى أعلى الشجرة ليربطه في أحد الفروع ويتركه معلقا هناك، لكن توم وجيم لن يستطيعا البقاء طويلاً لأنهما لابد أن يعودا إلى المدينة بسرعة في أول فرصة ركوب يجدانها؛ كانا مسرعين جداً فقد ضاعت ساعات عديدة منهما، والساعة الآن تقريباً الرابعة، والعديد من الناس يقدمون إلى المدينة بعد ظهر السبت لشراء اللحم قبل يوم الأحد قبل أن يلتقطها سكان الريف، يجب أن يسرعا ويفتحا محلهما ويبدآن في تقطيع شرائح لحم البقر وتقطيع بعض العظام بالساطور ليضعها الناس في الشوربة. "توم" يختص بعمل أي شيء يخص اللحم؛ من ذبح البقرة وتقطيعها إلى

أرباع، ويحمل اللحم إلى محل الجزارة ويعلقها في الخطاطيف داخل البراد. إذا أراد أي شـــخص شـــراء قطعة لحم، كان توم يبيع له ، كان يأخذ أحد الأرباع المعلقة ويرميها على طاولة تقطيع اللحم ويقطعها للزبون على الطريقة التي يحبها. إذا أردت لحما عليك أن تذهب لتوم وسيعطيك ما تريد. بعد ذلك تذهب لجيم وتعطيه النقود، كان "جيم" هو الكاشـــير وكان الحوار يكون معه، توم يقطع اللحم وجيم لا يستطيع فعل ذلك لأن كرشه كبير جداً وهذا يعوقه عند تقطيع اللحم على الطاولة لذلك كان جيم يأخذ النقود ويضعها في الصندوق تحت الكاونتر.

عاد توم وجيم إلى المدينة في الوقت المناسب ، كان الشارع مزدحما بالمارة الذين يشترون احتياجاتهم الأسبوعية وشراء ما يحتاجونه من اللحم . كل ما عليك فعله إذا أردت شـــراء اللحم هو أن تدخل على "توم" وتقول له، "أهلاً توم، أعطني رطلين ونصف من شرائح لحم الخنزير"، وسوف يرد عليك توم، "أهلاً بك سأحضر لك ما تريد فوراً"، وبينما أنت تنتظره وهو يقطع لك القطعة الكبيرة إلى شـــرائح صـغيرة يمكن لك أن تسـأله عن حاله وسـوف يجيبك بنفس الطريقة، "كل شـيء سهل ومريح مثل الصفير، ما عدا زوجتي التي تقدمت في السن وتعاني دائما من البرد والحمى بصورة سيئة". ثم يزن لك الشرائح ويلفها وبعد ذلك تذهب لجيم لدفع النقود لأن "جيم" هو الكاشير لأن بطنه الكبير مثل البيضـة لا تجعله يشـارك في تقطيع اللحم .

رجل وامرأه :

في ضـــوء الفجر الباهت، مشَـــوا ببطء إلى قمة الطريق بلا حركة في أجســـامهم وأرجل ممتلئة بالأتربة وكأنهم ظل متحرك أثناء الليل. مع كل خطوة كانوا يخطونها كانت أعينهم تحملق بشدة في الأفق؛ فقد كانوا مشتاقين لرؤية أول شعاع أحمر للشمس أثناء البزوغ.

أما السيدة؛ فضغطت بأسنانها على شفتها السفلى بشدة ، ورغم أن هذا كان يؤلمها إلا أنها مجبرة لفعل ذلك فهذا يدفعها لتمشـــي خطوة بعد خطوة وتجر قدما بعد الأخرى ميلا بعد ميل. كانت تتذمر من آن لآخر ولكنها لم تصرخ.

قال رنج: "حان الوقت لنتوقف قليلاً لنرتاح".

لكنها لم تجبه واستمرت في المشي.

سطعت الشمس في وجوههم عند قمة التل وقدأتموا ربع المسافة لكن مازال أمامهم طريق ليس به أي شـــجر أســـفل التل وبعد ذلك رأوا وادياً مغطى بالندى الذي كان يصـعد ببطء من الأرض . عندئذ استطاعوا أن يروا العديد من المزارع والمنازل، ولكن معظمها بعيد جداً لدرجة أنهم لا يمكنهم أن يميزوا ملامح هذه البيوت والمزارع بسـبب الندى الكثيف، ولكنهم ما لبثوا أن رأوا الدخان المتصـاعد من مدخنة أول بيت .

نظرت "روث" للرجل الذي يمشـي جوارها وقد أضـفت عليه أشـعة الشـمس الحمراء من لونها وظهرت بعض الحمرة على لونه الشـــاحب، لكن مازالت عيناه متعبتان وليس بها أية حيوية . يبدو أنه كان يبذل مجهوداً كبيرا ليحفظ توازنه ويمشي على قدميه وكأنه سيفقد توازنه في أية لحظة وسيسقط على الأرض .

"سنحصل على شيء نأكله في هذا المنزل الأول"، قالت ذلك وهي تنتظر دقيقة تلو الأخرى ليرد عليها: "سوف نحصل على أي شيء هناك "قالت ذلك وكأنها تجيب عنه، " سنحصل على أي شيء" .

ارتفعت الشمس الحمراء في الأفق بسرعة وسبحت خطوط السحاب على وجه الشمس وكأنها طبقات من الدخان المتصاعد من حرق الخشب، وكما ظهرت الشمس بسرعة ، انكمشت بسرعة أيضاً وتركزت في بؤرة نارية، تحرق العيون الناظرة إليها فلا يستطيع أحد أن يتحملها لمدة طويلة.

قالت روث: " هيا نحاول على أية حال" .

نظر إليها رنج في ضوء النهار الواضح لأول مرة منذ أن غربت الشمس في الليلة الماضية ووجد وجهها أكثر شحوباً وخديها مطموسين .

استمر في النزول من التل ولم يلفظ بأية كلمة وحتى لم يلتفت ليتأكد أنها تتبعه أم لا، ولكنه نزل وهو يجر قدما ويلقي بالأخرى بكل ما أوتي من قوة ، إنها الطريقة الوحيدة التي يستطيع أن يحرك بها نفسه.

توقف "رنج" أمام المنزل ناظراً إلى الدخان المتصاعد فوق رؤوسهم وهنا لحقت به "روث" أخيراً: "سأدخل إلى هذا المنزل وأحاول". قالت روث: "اجلس وارتاح هنا يا رنج".

فتح رنج فمه ليقول شيئاً ولكنه أحس بالاختناق ولم يتلفظ بأية كلمة، ظل ينظر إلى المنزل ذي الباب الخشبي البالى والستائر المنسدلة على الشبابيك والمدخنة المليئة بالدخان؛ كل هذه الأشياء لم تجعله يشعر أنه غريب أو في بلد غريب.

دخلت روث من بوابة المنزل ومشت إلى جانب المنزل ثم توقفت عند باب المطبخ ونظرت خلفها فوجدت "رنج" يدخل إلى الساحة الأمأمية للمنزل.

هناك شخص ما يراقبهم من خلف ستائر الشباك.

قال رنج لها: "اطرقي الباب".

تشبثت بمفاصل يدها اليمني على جانب البيت وطرقت المقبض حتى آلمتها يدها.

انفتح باب المطبخ لمسافة صغيرة جداً، وظهرت من شقوق الباب رأس سيدة في منتصف العمر، وجهها بنيٌ وفي جبهتها ندبة عميقة، يبدو أنها بسبب انفجار برطمان فواكه في وجهها.

قالت لهم السيدة: " اذهبا بعيداً"

" لن نضـايقك"، أجابتها "روث" بأسـرع ما يكون ، "ما نريد منك إلا أن تعطينا أي شيء قليل لنأكله؛ خبزاً أو بطاطا أو أي شيء".

"لا أعلم ما تفعلأنه هنا"، أجابتهم السيدة، "لا أحب أن أرى أغرابا حول منزلي".

أغلقت السـيدة الباب في وجههما ولكن ما لبثت أن فتحته وظهر وجهها لهم مرة ثانية وقالت أخيراً: "سـأعطي طعاماً للفتاة فقط، ولن أعطي للرجل أي شيء، ليس عندي طعاماً يكفيكما أنتما الاثنين على أية حال" .

التفتت "روث" إلى "رنج" بسـرعة وغاصـت كعباها في الأرض الرملية ونظرت له فطأطأ، بكل شغف، رأسه لها موافقاً.

كان قادراً على رؤية الكلمات على شـفتيها على الرغم من أنه لم يسـمعها تتفوه بأي شيء وهزت رأسها رافضة. فمشى رنج خطوات حتى وصل إليها ، قالت له : " سنحاول في مكان آخر" .

" لا" ، أجابها، " ادخلي وتناولي أي شيء تعطيه لك وأنا سأحاول أن أحصل على أي شيء من المنزل المجاور" .

ليس لديها رغبه أن تدخل المنزل بدونه، فتحت المرأة الباب لخطوة أو أكثر وانتظرتها أن تدخل. أما رنج فقد جلس على مقعد تحت الشـجرة وقال لها "سأجلس هنا أنتظرك لتدخلي وتأكلي أي شيء" .

صـعدت "روث" الدرج ببطء ودخلت الممر ومن ثم وصـلت إلى الباب ، أشارت لها السيدة إلى كرسي وطاولة لتجلس.

وضـعت السـيدة بطاطا دافئة من الليلة الماضـية وبسـكويتا باردا على الطاولة أمام "روث"، وبعد ذلك صـبت لها فنجانا من القهوة ووضـعته إلى جانب الطعام.

تناولت "روث" الطعام بأسرع ما يمكن ، أخذت ترشف من القهوة السوداء وتمضغ البطاطا والخبز ، والسيدة ذات البشرة البنية تقف خلفها عند الباب وكانت تطالعها وتطالع "رنج" بانتظام.

نجحت "روث" في أن تخبئ قطع خبز في بلوزتها ووضعت أيضاً نصف البطاطا في جيب تنورتها ونظرت لها السيدة نظرات شك حينما راقبت رنج ولم تجده في ساحة المنزل"

سألتها السيدة : سوف تذهبان إلى مسافة بعيدة؟

أجابتها روث : نعم

السيدة: هل أتيتِ من مسافة بعيدة؟

روث: نعم

السيدة : مَن هذا الرجل الذي ينتظرك؟

روث: إنه زوجي

نظرت السيدة إلى الساحة مرة أخرى ثم إلى "روث" ولم تقل أي شيء لبرهة.

حاولت "روث" أن تضع قطعة أخرى من البطاطا في جيب تنورتها ولكن السيدة بدأت تراقبها واقتربت منها ، منذ هذه اللحظة أكثر من ذي قبل .

السيدة: لا أصدق أنه زوجك.

روث: حسنا .. إنه زوجي.

السيدة: لا أستطيع أن أطلق عليه لفظ زوج وهو يدعك تتكففين الناس، في القرية، هكذا لتحصلي على الطعام .

روث: " إنه مريض" ، أجابتها روث بسرعة وهي تدير الكرسي في وجه المرأة ؛ " لقد كان مريضاً ونائماً في الفراش لمدة خمسة أسابيع قبل سفرنا" .

السيدة: ولماذا لم تظلوا بنفس المكان بدلاً من أن تشردوا أنفسكم هكذا؟ ولماذا لم يعمل بأي عمل؟ أم إنه لا يريد أن يعمل من الأساس؟ .

نهضت "روث" وأوقعت الخبز من يدها وقالت لها : " شكراً لك على هذا الفطور، سوف أذهب الآن" .

قالت لها السيدة: " لو استمعتِ لنصيحتي لكان أفضل لك؛ إذا لم تتركي هذا الرجل في أول فرصة تجدينها إذا لم يجد عملا أو أية وظيفة ستكونين حمقاء".

روث: " لديه وظيفة، ولكنه مرض وجاءه نوع من أنواع الحمى".

السيدة: " لا أصدقك ، إنني أحتقرك لأنك تكذبين علي"

ذهبت "روث" إلى الباب وفتحته بنفسها وخرجت والتفتت إلى الممر ونظرت مرة أخرى إلى السيدة التي أعطتها شيئا تأكله. تبعتها السيدة إلى الباب وقالت لها : " إذا كان مريضا وطريح الفراش كما قلتِ فلماذا سافر وهو مشرد هكذا وليس لديكما أي شيء لتأكلاه؟ ".

رأت "روث" "رنج" عند المقعد تحت الشجرة ، ورغم أنها لا تريد أن تجيب السيدة إلا أنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الرد وأجابتها: "السبب الذي جعلنا نسافر سيرا على أقدامنا هكذا هو أن أختي أرسلت لي خطاباً وقالت لي إن ابنتي قد ماتت لأني أرسلت لها ابنتي عندما مرض زوجي ونحن الآن ذاهبان إلى قبر ابنتي التي دفنت فيه".

نزلت "روث" الدرج وعبرت الساحة التي أمام بيت السيدة بكل سرعة ، وعندما وصلت إلى ركن البيت نهض "رنج" وتبعها إلى الطريق ولم يتفوه أياً منهما

بأي شـــيء، ولكنها لم تســتطع أن تمنع نفســها من النظر ثانية إلى المنزل بينما كانت السيدة تراقبهما من شقوق الباب.

فتحت "روث" بلوزتها، بعد أن مشــوا مئة قدم أو أصـــغر، وأخرجت قطع الخبز التي كانت خبأتها عند الســيدة. أخذها "رنج" بدون أن يقول أية كلمة، وبعد ما أكل كل الخبز الذي كان معها أعطته البطاطا فأكلها بســرعة من شــدة الجوع وكأنه يكلمها بعينيه وهو يلتهم الطعام ويمضغه.

لقد استمرا في السير لمدة نصف ساعة تقريباً دون أن يقولا كلمة واحدة.

قالت روث: " إنها عجوز حقيرة ، لولا أنني أحتاج الطعام بشـــدة لذهبت وتركتها قبل أن آكل أي شيء".

لم يقل "رنج" أي شيء لمدة طويلة إلى أن وصلا إلى نهاية الوادي ومضيا إلى الجانب الآخر ، ثم قال: " ربما لو علمت أين نحن ذاهبان لما عاملتك بهذه الخسة" .

قالت روث وقد خنقتها العبرة: " كم تبقى لنا يا رنج؟ " .

أجابها رنج: " حوالي ثلاثون أو أربعون ميلاً"

سألته روث: " سوف نصل غداً؟ " .

هز رأسه رافضاً: " اليوم الذي يليه" .

أجابها : " لا أعلم" .

ســألته وهي لم تعد قادرة على أن تكتم العبرات التي كانت تخنق صــدرها : " ربما لو وجدنا ما نركبه لوصلنا هذه الليلة؟" .

قال رنج: " نعم ، إذا وجدنا شيئا نركبه سنصل أسرع بكثير" .

أدار "رنج" رأسه وحملق في الطريق الذي خلفه ولم يجد شيئا يركبه، ثم نظر إلى الأرض التي كان يخطو فوقها ولبث يعد الخطوات التي يمشيها برجله اليمنى ثم رجله اليسرى.

مولي ذو الذيل القطني :

جاءت عمتي لزيارتنا في الجنوب الأمريكي وجلسنا جميعا حول المدفأة ، كان لعمتي الحظ الأوفر من الحديث الذي دار بينها وبين أمي ، أما أمي فتحدثت قليلاً. دخل أبي مصادفة خلال هذا الحديث وخرج مرة ثانية ليتمشى حول البيت ويجلس في الفناء فهو لا يحب حديث عمتي . كان لدى خالتي "نيللي" اعتقاد جازم أنها أذكى من كل الناس، فلذلك كان أبي لا يحب أن يدخل معها في أية مناقشة يمكن أن يتعكر صفو مزاجه بسببها.

سافرت خالتي لمسافة بعيدة ، حتى تصل إلينا وقد انتهزت فرصة سفر زوجها في رحلة صيد إلى فلوريدا . كان زوج خالتي مولعا بالصيد ويقضي وقت فراغه فيه لأنه يستمتع بذلك. وهنا سألت عمتي أمي : " بيس ، هل جوني يحب الصيد؟ " فأومأت أمي برأسها ناحيتي وأنا جالس عند المدفأة.

أجابتها أمي أنني لا أحب الصيد ، فأنا أحب أن أمسك بالأرانب والسناجب وأربيها في المنزل، ولكني لا أحب قتلها وعندي دجاجة في منزلي أعتني بها قد داست رجلها إحدى عجلات الدراجات النارية السريعة حينما كانت سريعة في أولى مراحل نموها وكسرت إحدى رجليها . لقد خبأتها في مخزن الحبوب لكي لا يكتشفها أبي وظلت أسبوعان في المخزن ، وحينما التأمت رجلها تركتها تخرج وتعيش مع باقي الدجاج في حوش المنزل.

عندما اكتشـــف أبي ما حدث أخبرني أنه لا يجب ذبحها إذا اعتنيت بها وغذيتها جيداً لأنها لا تســتطيع أن تبحث عن طعامها بمفردها مثل باقي الدجاج. التأمت رجلها بشكل جيد ولكنها ظلت ملتوية وكانت تعرج في كل خطوة .

قالت عمتي لأمي : "حســناً ، عار عليه إذا كان لا يحب الصــيد ، إذا اســتمر هكذا فلن يكون من سادة الجنوب الأمريكي الحقيقين" .

أمي : "ولكن يا "نيللي" "جوني" لا يحب قتل أي شيء" .

أجابتها عمتي "نيللي" بسخرية: "محض كلام فارغ، أي رجل من أسياد الجنوب الأمريكي الحقيقيين يحب الصيد، الله وحده يعلم أنه سيكون من أسياد الجنوب إذا أحب الصيد.

كان أبي سـيدافع عني لو كان موجودا في الغرفة حيث إنه لا يحب قتل الأشـياء أيضاً.

عمتي نيللي: "حينما أرى ابن أخي ليس مثل أسياد الجنوب أشعر بالاكتئاب والحزن. إذا لم يخرج للصيد فلن يصبح مثل هؤلاء الأسياد يوما ما ".

اعتادت عمتي "نيللي" أن تظل تعيد نفس الكلام مرات عديدة. أما أنا فلا أحب أن أكون مثل أســياد الجنوب الحقيقيين حينما أكبر، ولا يعنيني هذا ولكن لا أحب أن أراها تتحدث عني بهذه الطريقة . كل عام كانت عمتي تكتب خطابا لتدعو أمي لقضاء عطلة الصيف في منزلها في (ماري لاند) وأريد أن أذهب معها هذا العام.

ســـمع أبي ما قالته عمتي وخرج إلى الحوش الخلفي للمنزل وظل يرمي حصى في الحائط الجانبي للمخزن .

ذهبتُ إلى غرفة تناول الطعام وأخذت بندقية الصيد من فوق الرف ووجدتها ممتلئة بالطلقات لأن أبي يستخدمها لإخافة الغربان حينما يأتون في الربيع ويأكلون براعم الذرة الصغيرة التي تنمو في الأرض ولم يتعمد أبي قتل الغربان بل يطلق القنابل في الهواء فقط لإخافتهم لكي لا يأتوا إلى حقل الذرة مرة أخرى.

أخذت البندقية ونصف دستة من الزخيرة وخرجت من الباب الأمامي دون أن يراني أحد عند خروجي ومشيت متوجهاً إلى آخر الطريق حيث مبنى المدرسة عند مفترق الطرق ورأيت هناك العديد من الأرانب عند جدول الماء الأول. كنت دائماً أرى هذه الأرانب كل يوم وأنا ذاهب إلى المدرسة وعند عودتي أيضاً، وتتميز هذه الأرانب بأنها كبيرة الحجم ويكسوها الفرو الأبيض ومن الخلف يكسوها الفرو الرمادي، وتتميز أيضا بآذان طويلة ورفيعة وكرة بيضاء من الفرو تعلو ذيلها وكنت أحب رؤيتها كثيراً.

توقفت عند جدول المياه الأول عند الجسر وجلست أرتاح عند السور الحديدي، وفي غضون دقائق قليلة رأيت أرنبين يقفزان عند الطريق وهنا التقطت بندقيتي وطاردت الأرانب وكان هناك مئة حوش يفصل الجسر عن الطريق الذي حفر في التل ثم ضفاف جدول المياه التي تمتد إلى خمسة عشر قدما وترتفع لعشرين قدم.

في مثل هذا الوقت من العام يكون هناك صقيع كثيف في كل صباح ، والضفة التي تواجه الجنوب هي الضفة الأدفأ ، لأن الشمس تسطع عليه معظم ساعات النهار، وهناك رأيت العديد من الأرانب جالسة في الحفر عند ضفاف الجدول وكنت متأكدا أن هذا هو المكان الذي سيذهب له الأرانب الآن.

عندما وصلت هناك وجدت أرنبا كبيرا ، لونه رمادي ، جالساً عند الضفة التي تسطع عندها الشمس داخل إحدي الحفر. حينما رأيت الأرنب رفعت بندقيتي

على كتفي وحددت هدفي وعندئذ رأيته يرمق بعينه ويمضـــغ قطعة من العشـــب وكان جالساً بجوار كتلة خشبية كبيرة هناك ، كنت أبعد عنه حوالي عشرة أو اثنا عشـر قدما ، ولكنني اعتقدت أنني يجب أن أقترب أكثر من ذلك لأصـيب هدفي وأقتل الأرنب لكي آخذه للمنزل لتراه عمتي ، أريدها أن تدعوني لقضـاء الصـيف في منزلها مرة أخرى.

اقتربت أكثر وأكثر من الأرنب إلى أن أصـــبح بيني وبينه ثلاثة أقدام فقط ، وحينها رمقتْ بعينها ومضغتْ بعض العشب، وكرهتُ فكرة أن أقتلها ؛ فهي كانت تبدو راغبة في الحياة وجلست طول الوقت عند الضفة المشمسة تمضـــغ العشـــب ، لكن عمتي نيللي تعتقد أن الصـــبي يجب أن يكون كالرياضي المتمرس الذي يقتل أي شيء يراه.

لا أسـتطيع فعل شـيء آخر، ليس أمامي إلا قتل هذا الأرنب البائس وأخذه معي إلى عمتي لتراه. لذلك قمت بتحديد هدف ثابت عند مركز البندقية ذات الماسـورتين ، وأغلقت عيني ، وسـحبت الزناد مرة بعد مرة ، وعندما فتحت عيني مرة أخرى وجدت الأرنب جالسـاً في مكانه وينظر إليَّ ، وحينها شـعرت أنني في غاية السعادة أن الأرنب لم يمت بعد هذه الطلقات ، وزحفت إلى الضفة وأمسكت بها بشـدة لكيلا تجري ، ووجدتها خائفة وترتعد مثل الكلب المضـروب بالسـوط . وعندما حملتها بين ذراعي وضـــعت أنفها في ســـترتي وأنا أداعب فراءها وتوقفتْ عن الارتعاد.

أمسكت بالأرنب جيداً وحملت بندقيتي وجريت إلى المنزل بأسرع ما أستطيع، كان أبي ما زال جالسـاً في الحوش الخلفي للمنزل عندما وصـلت هناك وعندئذ سـألني أبي: "ما الذي تحمله تحت ذراعك؟ ".

وأجبته: " أرنب" .

سألني أبي: " كيف أمسكت به؟ "

أجبته: "أردت قتله وصـــوبت ناحيته ولم أصـــبه وأخطأت الهدف وبعد ذلك أخذته من أذنه وأحضرته معي للمنزل".

أبي: " انظر يا جوني ، أنت لم تصوب عليه وهو جالس أليس كذلك ؟" .

أجبته: " أظن ذلك" ، وأضفت بسرعة "لكني لم أصبها على أية حال".

أبي: "حسناً إنه أمر جيد ألاَّ تصيبه، الرياضي الحقيقي الذي يخرج للصيد لا يقتل أرنبا وهو جالس ولا يصـــوب هدفه ناحية طائر إلا بعد أن يطير. الرياضي الحقيقي يعطي فرصة للصيد الذي يصطاده لكي يعيش".

أجبته: " لكن عمتي نيللي قالت لا بد أن أقتل أي شـــيء أثناء الصـــيد ولم تقل عليك ألا تقتله أثناء الوقوف".

أبي: "عليك ألا تعير اهتماما لما تقوله عمتك، على أية حال هي لا تعلم عمَّ تتكلم".

أعطيت الأرنب لأبي عندما كنت أبحث عن صـندوق لأضـعه فيه، وقال لي بعد أن جهزت الصـندوق لأضـع الأرنب فيه وأغلقه: " ماذا سـتفعل مع هذا الأرنب؟"، وأجبته: "سأحتفظ بها"

أجابني أبي وهو ينظر لي نظرة إعجاب : " لا تضـعها في الصـندوق ، إذا أرادت البقاء معك لن تجري ولن تهرب بعيداً ، وإذا لم ترغب في البقاء معك سـتظل قلقة إلى أن تموت، أطلق سراحها وسنرى ماذا ستفعل" .

كنت خائفاً أن أطلق سـراحها لأنني لا أريدها أن تهرب بعيداً ، ولكن أبي كـان يعرف عن الأرانـب أكثر مني . في هذه اللحظـة أطلَّت عمتي "نيللي" من الشرفة الخلفية وسألتني: " ماذا تحمل معك في هذا الصندوق؟ ".

أجبتها: " أرنب"

عمتي: " من أين حصلت عليه؟ " .

أجبتها: "صـوبت ناحيته ببندقيتي ولكني لم أصـبه ولم يجر، لذلك أحضـرته معي إلى المنزل" .

حينها نظرت عمتي إلى أمي نظرة اشـــمئزاز وقالت: "هذا ما أخبرتك تماما يا بيس؟، أليس كذلك؟ " .

لم أســـمع ما قالته أمي ولكن أبي نهض ونزل إلى المخزن ، ودخلت عمتي المنزل وأغلقت الباب بشـدة خلفها ، وجلسـت أمي مكانها دقائق عديدة تنظر إليَّ وكأنها تريد أن تقول لي إني فعلت الصواب وهذا ما يجب فعله.

أخذت الأرنب من الصـندوق واتجهت إلى المخزن حيث كان أبي جالسـاً في أحد أركانه يبذر بعض حبات الذرة للدجاج، جلســـت إلى جوار أبي وأطلقت سراح الأرنب، قفز الأرنب حولنا مرات عديدة ثم جلس ونظر إلينا .

اقترح أبي علي وهو يملأ يده بالذرة ويلقيها للدجاج: "لماذا لا تســـميه "مولي ذو الذيل القطني؟ ".

سألته: "ومإذا يعني هذا؟ ".

أجـابني أبي: "هنـاك نوعـان من الأرانـب حولنـا هنـا؛ النوع الأول هو الأرنـب الصغير، والنوع الثاني يوجد فرو أبيض على ذيله وهي تشبه لوزة القطن".

أخذ الأرنب يقفز قفزاتٍ عديدة حولنا ثم جلس على ذيله القطني ولم يخف منه الدجاج ، واقترب الدجاج من المكان الذي جلس فيه الأرنب ، وبحثت الأرنب عن الذرة بأرجله وكأنه دجاجة مثلهن، وقال لي أبي: " لماذا لا تذهب إلى الحديقة وتحضـــر له بعض الخس فكل الأرانب تحب الخس، أحضـــره من النوع الناعم الجيد.

أحضرت الخس وأعطيته الأرنب وأخذت تقفز إلى أن وصلت إلى المكان الذي نجلس فيه في المخزن وكأنها تسألني عن المزيد من الخس، وأعطيتها كل ما لدي من الخس وأكلته من يدي، عندها قال لي أبي: "لو كنت قتلت هذا الأرنب لشعرت بالأسى الآن"، فيما يبدو أن أبي بدأ يحب أرنبي كثيراً .

قفز الأرنب حولنا مرات عديدة وأمامنا أيضـــاً وأخذ يلعب مع الدجاج ، وأحبه الدجاج أيضـاً، قلت لأبي: "كنت أصـلا أفضـل أن أتركها تعيش ولم أكن أحب قتلها من الأساس" .

قلت ذلك فجأة بعد أن أدركت كم أحببت هذا الأرنب، رجع "مولي" ينط ثانية وهو يداعب يد أبي بفمه وأبي يربت على فرو الأرنب وبعدها ينط الأرنب بعيداً ثم يهدهده أبي وهو ذاهب إليه.